كتاب ذكر الموت وما يتعلق به

وفيه أربعة عشر بابا :

الباب الأول

في آداب المريض

ينبغي له أن يستعد بالتوبة ورد المظالم إلى أهلها وهذا لا يختص بالمريض إلا أن ذلك في حقه آكد ويستحب له الصبر على المرض وترك الأنين ما أطاق ويكره له كثرة الشكوى فإنه من تشكى من آلامه إلى إخوانه نقص أجره وصبره ومن تشكى من مولاه والعياذ بالله ذهب أجره وثبت وزره وألمه لم يزل.

وقد ذكر أبو حامد ـ رَحِمَهُ الله ـ في **الإحياء** عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال: انظرا ماذا يقول لعواده فإن هذا إذا جاءه أحد حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»[1].

وعن سعيد وأبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال يقول لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي في ملكي، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال لا إله إلا أنا لي الحمد ولي الملك، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال لا إله إلا أنا**

(1) أورده الحافظ فى اللسان (254/4 ترجمة 690 على بن محمد الزيادى) وقال: أشار الدارقطنى فى غرائب مالك إلى لينه، وأنه تفرد عن معن عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة رفعه: إذا مرض العبد.. الحديث، وقال: إنما هو فى الموطأ بسند منقطع عن غير سهيل.
حديث عطاء بن يسار المرسل: أخرجه مالك (2/ 940، رقم 1682)، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 187، رقم 9941).

لا حول ولا قوة إلا بي» . وكان يقول : «**من قال هذا في مرضه ثم مات لم تطعمه النار**». رواه الترمذي [1].

وروي أن النبي ﷺ دخل على علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ وهو مريض فقال له : «**قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن**» [2].

قال في **الإحياء** وفي **صحيح الحاكم** عن النبي ﷺ أنه قال : «**هل أدلكم على اسم الله الأعظم دعاء يونس عليه السلام**» فقال رجل : يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال : «**ألا تسمع قوله** ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[3]؟ فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ برئ مغفورا له» [4].

وعن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه**» رواه البخاري [5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إن الرجل أو المرأة ليعمل**

---

(1) أخرجه الترمذى (5/ 492، رقم 3430) وقال : حسن غريب .

(2) أخرجه ابن حبان (3/ 202، رقم 922) ، والحاكم (1/ 703، رقم 1917) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبى . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الأوسط (1/ 293، رقم 969) ، وابن عدى (3/ 217، رقم 714 زهير بن محمد العنبى) ، والديلمى (1/ 454، رقم 1844) .

(3) سورة الأنبياء، الآية : 88.

(4) أخرجه الحاكم (1/ 685، رقم 1865) .

(5) البخارى (3/ 1005، رقم 2587) ، وأخرجه مالك (2/ 761، رقم 1453) ، والطيالسى (ص 252، رقم 1841) ، وابن أبى شيبة (6/ 227، رقم 30931) ، وأحمد (2/ 80، رقم 5511) ، ومسلم (3/ 1249، رقم 1627) ، وأبو داود (3/ 112، رقم 2862) ، والترمذى (3/ 304، رقم 974) ، وقال : حسن صحيح . والنسائى (6/ 238، رقم 3615) وابن ماجه (2/ 902، رقم 2702) .

بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار»[1] . ثم قرأ أبو هريرة ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾ إلى قوله ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ [2].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أبو داود (3/ 113، رقم 2867) ، والترمذى (431/4 رقم 2117) وقال : حسن صحيح غريب . والبيهقى (6/ 271، رقم 12365) . وأخرجه أيضًا : الديلمى (1/ 192، رقم 723) .

(2) سورة النساء، الآية : 12.

الباب الثاني

في الحث على ذكر الموت

قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ .

وفي الحديث «لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد إليها ما أخذ منها فما من أحد إلا يدفن في التربة التي خلق منها» ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فمن عمل صالحا وفى وكمل أجره بدخول الجنة والتبعيد من النار وهو معنى قوله ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي بعد عنها ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي ظفر بالخير ونجا من الشر ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1] يريد العيش في هذه الدار الفانية يغر الإنسان بما يتمناه من طول البقاء وسينقطع عن قريب .

وقال تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [2].

قال عطاء الخراساني ـ رَحِمَهُ الله ـ في تفسير هذه الآية إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة .

وروى الترمذي الحكيم في **نوادر الأصول** عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة ، وإذا بقبر يحفر فأقبل عليه فقال : «**لمن هذا؟**» فقيل لرجل من الحبشة فقال : «**لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها**» [3].

(1) سورة آل عمران ، الآية : 185.

(2) سورة طه ، الآية : 55.

(3) ذكره الحكيم (266/1) .

وأنشد بعضهم [1]: [من الوافر]

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته**» [2].

قال أبو عاصم النبيلي ما نجد لأبي بكر وعمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ فضيلة مثل هذه لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ. وقال الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [3].

قال رسول الله ﷺ: «**إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة**» أو قال: «**بها حاجة**» [4].

وأنشدوا: [من الطويل]

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

وروى الترمذي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» [5]. يعني الموت. وقال رجل: يا رسول الله، أي

---

(1) المستطرف 2/ 48.

(2) أخرجه الرافعي (137/4).

(3) سورة لقمان، الآية: 34.

(4) من حديث مطر بن عكامس: أخرجه أحمد (5/ 227، رقم 22034)، والترمذى (4/ 452، رقم 2146) وقال: حسن غريب. والطبرانى (20/ 343، رقم 807)، والحاكم (1/ 102، رقم 125). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (3/ 94، رقم 2596).
من حديث أبى عزة: أخرجه الترمذى (4/ 453، رقم 2147) وقال: صحيح. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (14/ 19، رقم 6151)

(5) من حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (2/ 292، رقم 7912)، والترمذى (4/ 553، رقم 2307)=

المؤمنين أفضل؟ قال : «**أحسنهم خلقا**» . قال : فأي المؤمنين أكيس؟ قال : «**أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعداد أولئك الأكياس**» [1].

وقال ﷺ : «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**» [2].

وقال ﷺ : «**أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا**» [3].

=وقال : حسن غريب . والنسائى (4/ 4، رقم 1824) ، وابن ماجه (2/ 1422، رقم 4258) ، وابن حبان (7/ 259، رقم 2992) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 354، رقم 10559) .

من حديث عمر : أخرجه أبو نعيم فى الحلية (355/6) .

ومن حديث أنس : أخرجه الطبرانى فى الأوسط (1/ 213، رقم 691) ، والبزار كما فى كشف الأستار (4/ 240، رقم 3623) ، قال الهيثمى (308/10) : رواه البزار ، والطبرانى باختصار عنه ، وإسنادهما حسن . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (252/9) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (1/ 498، رقم 826) ، والضياء (5/ 76، رقم 1701) .

(1) من حديث ابن عمر : أخرجه الحاكم (4/ 583، رقم 8623) وقال : صحيح الإسناد . وأبو نعيم فى الحلية (313/1) . وأخرجه أيضا : ابن ماجه (2/ 1423، رقم 4259) ، قال البوصيرى (249/4) : هذا إسناد ضعيف . وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (5/ 61، رقم 4671) ، وفى الصغير (2/ 189، رقم 1008) ، وفى مسند الشاميين (2/ 392، رقم 1559) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 351، رقم 10550) ، والبيهقى فى الزهد (2/ 190، رقم 456) .

ومن حديث سعد بن مسعود : أخرجه ابن المبارك 1/ 92، رقم 272) ، وأبو بكر فى الغيلانيات (ص 375 رقم 1095) . قال الحافظ فى الإصابة (3/ 82، ترجمة 3203 سعد بن مسعود الكندى) قال البغوى : له صحبة ، وذكره البخارى فى الصحابة ، وأما ابن أبى حاتم فذكره فى التابعين .

(2) أخرجه ابن المبارك (1/ 55، رقم 171) ، والطيالسى (ص 153، رقم 1122) ، وأحمد (4/ 124، رقم 17164) ، والترمذى (4/ 638، رقم 2459) وقال : حسن . وابن ماجه (2/ 1423، رقم 4260) ، وأبو نعيم فى الحلية (267/1) ، والبيهقى (3/ 369، رقم 6306) ، والطبرانى (7/ 281، رقم 7141) ، والحاكم (1/ 125، رقم 191) وقال : صحيح على شرط البخارى . وأخرجه أيضًا : أخرجه البزار (417/8 رقم 3489) ، والقضاعى (1/ 140، رقم 185) ، وابن أبى عاصم فى الزهد (38/1) ، والديلمى (3/ 310، رقم 4930) .

(3) أخرجه أيضًا : الديلمى (30/1/1) كما فى السلسلة الضعيفة للألبانى (6/ 412، رقم2879) ، قال=

وقال : «**كفى بالموت واعظا**»[1]. وقيل له : يا رسول الله ، هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال : «**نعم ، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة**» .

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ فأحسنوا عليه الثناء فقال النبي ﷺ : «**كيف كان ذكر صاحبكم للموت؟**» قالوا : ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال : «**فإن صاحبكم ليس هنالك**» .

وقال ﷺ : «**لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم سمينا**»[2].

وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : «**اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**»[3].

وعن الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه «**أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟**» قالوا : نعم يا رسول الله . قال : «**قصروا الأمل وأثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق الحياء**»[4].

=المناوى (86/2) : قال الحافظ العراقى : إسناده ضعيف جدًّا . وتبعه الشيخ الألبانى فى السلسلة الضعيفة .

(1) أحمد فى الزهد (ص 176) ، والقضاعى (2/ 302، رقم 1410) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 353، رقم 10556) . قال الهيثمى (308/10) : رواه الطبرانى ، وفيه الربيع بن بدر ، وهو متروك .

(2) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (7/ 353، رقم 10557) . وأخرجه أيضًا : القضاعى (2/ 314، رقم 1434) . قال المناوى (315/5) : فيه عبد الله بن سلمة بن أسلم ضعفه الدارقطنى .

(3) أخرجه مالك (1/ 186، رقم 444) ، وأحمد (6/ 164، رقم 25351) ، والبخارى (1/ 354، رقم 997) ، ومسلم (2/ 618، رقم 901) ، وأبو داود (1/ 307، رقم 1180) . والنسائى (3/ 132، رقم 1474) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (1/ 401، رقم 1263) ، وابن الجارود (ص 73، رقم 249) ، وابن خزيمة (2/ 319، رقم 1387) .

(4) أخرجه أحمد (1/ 387، رقم 3671) ، والترمذى (4/ 637، رقم 2458) وقال : غريب . والطبرانى (10/ 152، رقم 10290) ، والحاكم (4/ 359، رقم 7915) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى=

وقال أبو الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم .

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه ويحك يا يزيد من ذا يصلى عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يرضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت موعده والقبر بيته والتراب فرشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفوز الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه . وكان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فإن سئل عن شيء قال : لا أدري .

وقال اللفاف : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل بالعبادة .

وروي أن الحسن البصري ـ رَحِمَهُ الله ـ دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وإلى شدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له الطعام يرحمك الله فقال يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوا لله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

وقال الحسن ـ رَحِمَهُ الله ـ فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغر الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها . وروي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت؟ فقال من لا يهاب الملوك ولا يمنع من القصور ولا يقبل الرشى قال فإذن أنت ملك الموت ولم أستعد بعد

=شعب الإيمان (6/ 141، رقم 7730) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (7/ 77، رقم 34320) ، والبزار (5/ 391، رقم 2025) ، وأبو يعلى (8/ 461، رقم 5047) ، والطبرانى فى الصغير (1/ 298، رقم 494) . وأشار المنذرى (120/4) إلى ضعف الحديث ، وأن الصواب وقفه . قال المناوى (488/1) : فيه أبان بن إسحاق .

قال يا داود أين فلان قرينك؟ أين فلان جارك؟ قال مات قال ما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟

وكان عمر بن عبد العزيز ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ كل ليلة يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يكون حتى كان بين أيديهم جنازة وكان حامد العصري يقول كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فبماذا تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا.

وقال سميط بن عجلان من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا سعتها. وقال عمر بن عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ لبعض العلماء عظني فقال لست أنت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك. وكان الربيع بن خثيم حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد.

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه.

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك. ويروى أن سليمان بن عبد الملك كان بالمسجد الحرام فأتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فإذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك ندمك لو قدر زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الول والنسيب فلا أنت إلى

دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

وقال إبراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر ويغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

وقيل لحاتم الأصم ـ رَحِمَهُ الله ـ كيف أصبحت؟ قال كيف يصبح من أجله قريب وأمله بعيد والموت أمامه والقبر مسكنه وهو مع ذلك مطالب بتسع خصال؟ قيل وما هن؟ قال الله تعالى يطالبني بالفرض والنبي بالسنة والعيال بالنفقة والنفس بالقوت والوالدان بالبر والملكان بصدق اللسان والقبر بالجسم والدود باللحم ومنكر ونكير بالحجة فهؤلاء غرمائي فكيف يصبح من كان على هذه الحالة؟ قد غلب تقصيري عن الوفاء.

يقال: إن الأرض تنادي كل يوم خمس مرات يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني يا ابن آدم تأكل الألوان على ظهري وتأكلك الديدان في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني يا ابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني.

قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر أخلص النية فإن المولى عظيم وبادره بالعمل فإن الأجل قريب وجوده بالتحقيق فإن الناقد بصير وأكثر الزاد فإن الطريق سحيق وأوثق السفينة فإن البحر عميق**».

❊ ❊ ❊

حكايات

نختم بها الباب

الأولى: سئل بعض السادة عن أول توبته فقال: كنت مشغولا بالتجارة لا أفتر من الأسفار لطلب الأرباح، فأتى علي في بعض أسفاري ذهاب جميع مالي، واشتد لذلك همي وعظم حزني، فأقبلت أمشي في البرية هائما على وجهي، وإذا بصارخ ينادي سمعت صوته وما رأيت شخصه وهو يقول: ألا تعجب مما تعجبت منه؟ فأجبته وقلت له: ما الذي تعجبت منه؟ فقال: عجبت ممن يحزن من ذهاب ماله، ولا يحزن على ذهاب عمره، وعجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه وهو مشغول بما أدبر عنه معرض عما أقبل إليه، ثم انقطع الصوت عني فذهب عني جميع ما كنت فيه فظهر لي فساده، وكان ذلك سبب توبتي.

الثانية: قال بعض السادة رأيت شابا صغيرا قد أنهكته العبادة فقلت له: يا هذا، لقد استعجلت فراق شبابك وفقد إخوانك وأحبابك! فنظر إلي متبسما وقال لي: يا شيخ رأيت الموت لا يختص بوقت ينتظر فيه، ولا له حد ينتهي إليه فبادرت بغتة بالكد والعمل ونعيت عن نفسي غرور التسويف والأمل.

قال: وكنا في بعض السواحل فأزال يده من يدي ومر ماشيا على الماء وهو يقول: هذا قليل عندما أرجوه في يوم الجزاء بل أنت سؤلي إن كنت لي نلت المنى

الثالثة: روي أن رجلا جمع مالا عظيما وصنع يوما طعاما لأهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون، وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه: تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك. فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زي مسكين، فقرع الباب، فخرج إليه بعض الغلمان فقال: ما حاجتك؟ فقال: ادعوا

لي سيدكم . فانتهروه وقالوا : مثلك يخرج إليه سيدنا؟! فقال : نعم . فجاءوا فأخبروا سيدهم بذلك فقال : هلا ضربتموه . فعاد فقرع الباب قرعا شديدا ، فخرجوا إليه فقال : أخبروا سيدكم أني ملك الموت . فلما سمعوه وقع على الجميع الذل ، فدخل ملك الموت عليه فأحضر أمواله ، فنظر إليها تحسرا وأسفا وقال : لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي . فأنطق الله المال فقال : لم تسبني وقد كنت تدخل على الملك بي ، وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ، ولو أنفقتني في سبيل الخير لنفعتك؟

الرابعة : قال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما عجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا ، فجاء رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما فقال : إن لي إليك حاجة . قال : اصبر حتى أنزل . قال : لا الآن . فقهره على لجام دابته فقال : اذكرها . قال : هو سر فأدنى إليه رأسه فساره وقال : أنا ملك الموت . فتغير لون الملك واضطرب لسانه ، ثم قال : دعني الآن حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأدعهم . قال : لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا . فقبض روحه فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال : إن لي حاجة أذكرها في أذنك . فقال : هات فساره وقال : أنا ملك الموت . فقال : مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي ، فوا لله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت لها . فقال : ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله . قال : فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك . فقال : تقدر على ذلك؟ فقال : نعم إني أمرت بذلك . قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي

فاقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد.

الخامسة: قال وهب بن منبه: قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله، ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة: لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال: أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الأرض، فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها. فقالت الملائكة: الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته. فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لما يشاء.

السادسة: يقال: إن ملك الموت دخل يوما على سليمان ـ عليه السلام ـ فجعل يحد بصره ويطيل نظره إلى رجل من ندمائه، ثم خرج فقال الرجل: يا نبي الله، من هذا الذي دخل؟ قال: هذا ملك الموت. فقال: أخاف أنه يريد قبض روحي فخلصني منه. فقال: كيف أخلصك؟ قال: تأمر الريح أن تحملني في هذه الساعة إلى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال، لعله يضل عني. فأمر سليمان الريح فحملته إلى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال، فدخل ملك الموت على سليمان مرة ثانية فقال له: لأي سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل؟ قال: كنت أتعجب منه لأني أمرت بقبض روحه بأرض الهند، وكان بعيدا عنها إلى أن اتفق حمل الريح له إلى هناك، كما قدر الله فقبضت روحه هناك.

❊ ❊ ❊

الباب الثالث

في قبض الروح وسكرات الموت وشدته

قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [1]. أي : وكل بقبض أرواحكم ، وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت .

وجاء في الأخبار أن الله جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ أي الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ يريد موت أجسادها ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ﴾ يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿فِى مَنَامِهَا﴾ والتي يتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فيزول بزوالها النفس والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى الجسد ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي التي لم يقض عليها بالموت إلى الجسد ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[2] إلى أن يأتي وقت موته . ويقال للإنسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح .

وعن علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد ، فبذلك يرى الرؤيا ، فإذا انتبه ، عاد أي : الروح إلى جسده بأسرع من لحظة . ويقال : إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء الله ـ

(1) سورة السجدة ، الآية : 11.

(2) سورة الزمر ، الآية : 42.

عز وجل ـ فإذا أراد الرجوع إلى أجسادها أمسك الله ـ عز وجل ـ أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها .

وقال تعالى : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ . أي النفس الحلقوم عند الموت ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه حتى تخرج نفسه وقيل المعنى تنظرون إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[1] الذين حضروه .

وقال تعالى : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿التراقي﴾ حين يخرج بها عند الموت والتراقي جمع ترقوة ، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن لا شفاء على الموت ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ قال : من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته ودوائه وقال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيئا .

وقال سليمان التيمي ، ومقاتل بن سليمان : هذا من قول الملائكة ـ عليهم السلام ـ يقول بعضهم لبعض : من يرقى بروحه فيصعد بها ؛ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ من الدنيا ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ قال قتادة الشدة بالشدة وقال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة .

قال السدي : لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه . قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه .

(1) سورة الواقعة ، الآيات : 83 ـ 85.

وقال الحسن هما ساقاه إذا التفتا في الكفن ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[1] أي مرجع العباد إلى الله سبحانه وتعالى فيساقون إليه.

عن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ قالت: كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**»[2].

وقال أنس: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة: وا كرب أبتاه فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[3].

وسئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال: «**إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف**».

ودخل ـ عليه السلام ـ على مريض ثم قال، «**إني أعلم ما يلقى فما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته**».

وكان علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ يحض على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعلمه شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار.

وروي أن إبراهيم لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلي؟ فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك.

---

(1) سورة القيامة، الآيات: 26 ـ 30.

(2) أخرجه البخارى (4/ 1616، رقم 4184)، وأخرجه أيضًا: الطبرانى (23/ 31، رقم 78).

(3) أخرجه البخارى (4/ 1619، رقم 4193).

وروي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير.

وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة تسلخ بيد القصاب. وروي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فأعرض عني، فأعرض عنه فالتفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب الدخان والنار، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه. وقال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم. فأعرض عني، فأعرض عنه، ثم التفت فإذا هو بشاب، فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه.

الباب الرابع

فيما يستحب من الأحوال عند المحتضر

روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» [1].

وقال ﷺ : «**حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص**» [2].

وقال ﷺ : «**احضروا موتاكم**[3] ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ؛ فإن الحليم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، فإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن» [4].

ونقل النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **الروضة** عن الجمهور والاقتصار في تلقين الميت على كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، ونقل عن جماعة من أصحابنا أنه يضيف إليها محمد رسول الله ؛ لأن المقصود تذكرة التوحيد . قال المحب الطبري : وهو الأولى ؛ لأن المقصود موته على الإسلام ولا يسمى مسلما إلا بهما .

---

(1) أخرجه أحمد (5/ 247، رقم 22180) ، وأبو داود (3/ 134، رقم 2945) ، والطبرانى (20/ 305، رقم 727) ، والحاكم (1/ 503، رقم 1299) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى (6/ 355، رقم 12797) . وأخرجه أيضًا : ابن خزيمة (4/ 70، رقم 2370) ، والديلمى (3/ 516، رقم 5609) .

(2) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (2/ 9، رقم 1015) ، والخطيب (124/9) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الدعاء (1/ 433، رقم 1473) .

(3) احْضُروا موتاكم : أى كونوا معهم أثناء اشتداد سكرات الموت وخروج الروح .

(4) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (186/5) .

وذكر الجيلي شارح **التنبيه** أنه يسن تجريعه ماء معللا بأن العطش يغلب من شدة النزع ، فيخاف منه إزلال الشيطان إذ ورد أنه يأتي بماء زلال ، ويقول : قل لا إله غيري حتى أسقيك ، قال الشيخ شهاب الدين الأذرعي ـ رَحِمَهُ الله ـ : وهذا غريب .

وقال ﷺ : «**اقرءوا على موتاكم يس**» . رواه أبو داود [1].

وورد أن يس قلب القرآن ، قاله الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ وإنما كانت قلبه ؛ لأن المقصود الأعظم من القرآن ، وما جاء به الرسل إثبات الحشر ، وبيان حاله وهو فيها أتم وأبين منه في غيرها ، ولعل هذا هو الحكمة في قراءتها عند الميت .

وقال الرافعي ـ رَحِمَهُ الله ـ : وغيره استحب بعض التابعين قراءة سورة الرعد عند المحتضر ، وأفاد ابن الرفعة أن البندنيجي والعمراني قالا ذلك فذكر أنه أسرع لخروج الروح .

وروى ابن أبي داود عن مجالد عن الشعبي قال : كانت الأنصار إذا حضروا قرءوا عند الميت سورة البقرة .

قال النووي في **الأذكار** بعد أن أخرجه ، مجالد ضعيف فينبغي للمحتضر أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى ، ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه ؛ ففي **الصحيحين** عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن رسول الله ﷺ قال : «**قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي**»[2].

---

(1) أخرجه أحمد (5/ 26، رقم 20316) ، وأبو داود (3/ 191، رقم 3121) ، وابن ماجه (1/ 466، رقم 1448) ، وابن حبان (7/ 269، رقم 3002) ، والطبرانى (20/ 219، رقم 510) ، والحاكم (1/ 753، رقم 2074) ، والبيهقى (3/ 383، رقم 6392) . وأخرجه أيضًا : الطيالسى (ص 126، رقم 931) ، وابن أبى شيبة (2/ 445، رقم 10853) ، والنسائى فى الكبرى (6/ 265، رقم 10913) .

(2) أخرجه ابن حبان (2/ 407، رقم 641) ، والطبرانى (22/ 87، رقم 209) . وأخرجه أيضا : أحمد =

وعن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت قال : «**كيف تجدك؟**» قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ : «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف**»[1] . رواه الترمذي .

وقال ﷺ : «**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» [2].

وقال ﷺ : «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» . فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت فقال : «**ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا احتضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فيكره الله لقاءه**» [3].

ومرض أعرابي فقيل له : تموت! قال : أين يذهب بي؟ قالوا : إلى الله تعالى . قال : فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه .

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت : يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به .

=(3/ 491، رقم 16059) قال الهيثمى (318/2) : رجاله ثقات . والطبرانى فى الأوسط (1/ 126، رقم 401) .

(1) أخرجه عبد بن حميد (ص 404، رقم 1370) ، والترمذى (3/ 311، رقم 983) ، قال : حسن غريب . والنسائى فى الكبرى (6/ 262، رقم 10901) ، وابن ماجه (2/ 1423، رقم 4261) ، وأبو يعلى (6/ 57، رقم 3303) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (2/ 4، رقم 1002) ، والضياء (4/ 413، رقم 1587) .

(2) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (ص 15، رقم 2) ، والحكيم (99/3) ، وابن حبان (2/ 401، رقم 633) ، وابن عدى (6/ 326، ترجمة 1807 معروف بن عبد الله الخياط) ، والطبرانى (22/ 87، رقم 210) ، والحاكم (4/ 268، رقم 7603) ، وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضا : أحمد (3/ 491، رقم 16059) ، والدارمى (2/ 395، رقم 2731) .

(3) أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى عن عائشة وعن عبادة .

قال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله ـ ورد في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران ، حببني إلى عبادي وذكرهم نعمي عليهم وإحساني إليهم . فقال موسى عليه السلام : إلهي هذه رحمتك للأحياء فما الذي أعددت للأموات؟ فأوحى الله إليه يا ابن عمران لو سألت أهل القبور وأذنت لهم في جوابك لأخبروك أن لطفي بهم بعد موتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم ، يا ابن عمران لم أقطع عنهم رحمتي وهم أحياء يرزقون فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورن؟ يا ابن عمران كم عبد عصاني طول عمره فلما كان عند موته لم أنظر إلى تمرده وجهله ونظرت إلى ضعفه وذله فألهمته توحيدي وأوقفته على بابي لينجو من سطوتي وعذابي .

❊ ❊ ❊

الباب الخامس

في ذكر وفاة رسول الله ﷺ

والخلفاء الراشدين ـ رَضِيَ الله عَنْهُم ـ أجمعين

روى البخاري عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة وا كرب أبتاه فقال لها : «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[1]

وفي **الصحيحين** عن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكا شديدا قال : «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قلت : ذلك أن لك أجرين قال : «**أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحت الشجرة ورقها**» [2].

ودخل عليه أبو سعيد الخدري وعليه قطيفة فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة ، فقال : ما أشد حماك فقال : «**إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر**» [3].

وقال ابن مسعود : دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ـ رَضِيَ الله

(1) أخرجه البخارى (4/ 1619، رقم 4193) .

(2) أخرجه أحمد (1/ 381، رقم 3618) ، ومسلم (4/ 1991، رقم 2571) ، والبخاري (5/ 2139، رقم 5324) ، وابن حبان (7/ 199، رقم 2937) .

(3) أخرجه الحاكم (1/ 99، رقم 119) ، والبيهقى (3/ 372، رقم 6325) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (2/ 1334، رقم 4024) قال البوصيرى (188/4) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وأبو يعلى (2/ 312، رقم 1045) .

عَنْها ـ حين دنا للفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال : «**مرحبا بكم ، حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى فاقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله**» .

وقالت أم سلمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ عامة وصيته عند موته «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**» [1].

وكانت عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ سمعته قبل ذلك يقول «**ما من نبي يموت حتى يخير**» قالت فسمعته يقول : «**اللهم الرفيق الأعلى**» فعلمت أنه ذاهب .

وفي خبر عنها : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ .

وقالت رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح به وجهه بالماء ثم يقول : «**اللهم أعني على سكرات الموت**»[2].

وذكر ابن سعد في وفاته ـ عليه السلام ـ خبرًا فيه أنه لما بقي من أجله ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك خاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟ وفيه أن ذلك ثلاثا المرة بعد المرة وفي الثالثة صحبته ملك الموت فاستأذن عليه فأذن له ثم استأذن في قبض نفسه أو تركها وأن الله أمره بطاعته في ذلك فقال جبريل : يا أحمد ،

(1) من حديث أم سلمة : أخرجه أحمد (6/ 290، رقم 26526) ، وابن ماجه (1/ 519، رقم 1625) ، قال البوصيري (56/2) : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . وابن سعد (254/2) ، والطبراني (23/ 306، رقم 90) ، وعبد بن حميد (ص 445، رقم 1542) ، وأبو يعلى (12/ 365، رقم 6936) .
ومن حديث ابن عمر : أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (237/4) قال الهيثمى : فيه عبيد الله أبو الوليد الوصافى ، وهو متروك .

(2) أخرجه ابن أبى شيبة (6/ 42، رقم 29333) .

إن الله قد اشتاق إليك قال: «**فاقبض يا ملك الموت كما أمرت به**». قال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ الأرض فتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية يسمعون الصوت ولا يرون الشخص السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبا لله فثقوا وإياه فارجوا إنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وقد ذكر أن هذا المعزي هو الخضر عليه السلام.

وروي أنه ـ عليه السلام ـ قال لجبريل عند موته: «**من لأمتي بعدي؟**» فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال: «**الآن قرت عيني**». فلما توفي رسول الله ﷺ وسَجَّتْه الملائكة دهشت الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك، فأما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول: إنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، وأما عثمان فإنه أخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم، وأقعد علي، وأضني عبد الله بن أنيس، وبلغ أبا بكر الخبر رضي الله عنه وكان بالسنخ فجاء وعيناه تهملان فقبل النبي ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا، وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين، وثبت جأشهم وكان أثبت القوم ـ رَضِيَ الله عَنْهُم ـ.

وتوفي ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة وهو سن أبي بكر وعمر وعلي

وعائشة ـ رَضِيَ الله عَنْهُم ـ ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الأربعاء.

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال لما كان اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلام المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا.

❊ ❊ ❊

وفاة أبي بكر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ

روى أبو المليح أن أبا بكر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أوصيك بوصية إن أنت قبلتها مني، إن لله ـ عز وجل ـ حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله ـ عز وجل ـ حقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا، ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه، فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه.

وقيل: لما احتضر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ جاءت عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ فتمثلت بهذا البيت: [من الطويل]

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[1] انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت. وتوفي يوم الاثنين لثمان وقيل لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة.

(1) سورة ق، الآية: 19.

وفاة عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ

طعنه أبو لؤلؤة[1] فيروز غلام المغيرة بن شعبة[2] وهو قائم في صلاة الصبح بسكين مسمومة ذات طرفين، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا توفي منهم سبعة.

عن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: كان عمر في حجري لما طعن وكان مرضه الذي توفي فيه فقال: ضع خدي بالأرض فقلت: وما عليك كان في حجري أم على الأرض؟ وظننت أن ذلك تبرم منه، فلم أفعل فقال: ضع خدي بالأرض لا أم لك، ويلي وويل أمي، إن لم يرحمني ربي.

وروي أنه لما طعن وحمل إلى بيته وجاء الناس يثنون عليه، جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة من رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، فقال: وددت أن ذلك كان كفافا لا علي ولا لي. ثم قال: يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: عمر يقرأ عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل له: هذا

(1) أبو لؤلؤة المجوسى كان عبدًا للمغيرة بن شعبة وكان مجوسيًا وقيل: نصرانيًا، وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستعمله كل يوم بأربعة دراهم فلقى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علىّ فكلِّمه، فقال عمر له: أحسن إلى مولاك وفى نيته أن يكلم المغيرة، فغضب أبو لؤلؤة وقال: يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر فى قلبه كما قيل. ابن سعد: الطبقات الكبرى 3/ 345، السيوطى: تاريخ الخلفاء: 1/ 134.

(2) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود، أبو عيسى، ويقال أبو عبد الله الثقفى، كان من دهاة العرب وذوى آرائها، أسلم عام الخندق وشهد الحديبية، وبعثه الرسول ﷺ إلى أهل الطائف هو وأبا سفيان بن حرب فهدما اللات، شهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذٍ، وشهد القادسية، وولاه عمر فتوحًا كثيرة، مات على المشهور سنة خمسين من الهجرة. ترجمته عند ابن عبد البر: الاستيعاب 4/ 1445، ابن الأثير: أسد الغابة 5/ 247، ابن حجر: الإصابة 6/ 697.

عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما وراءك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان شيء أحب إلي من ذلك، فإذا أنا مت فاحملوني ثم سلم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين.

وفي **أفراد مسلم** من حديث المسور بن مخرمة أن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وفي حديث آخر: والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع.

وكان طعنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوما، وعمره ثلاث وستون سنة.

❊ ❊ ❊

وفاة عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ

عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ ظل في اليوم الذي قبله صائما، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأعطوني كوزا من ماء فأتيته فحركته فاستيقظ فقلت: هذا ماء عذب. فرفع رأسه فنظر إلى الفجر فقال: إني قد أصبحت صائما إن رسول الله ﷺ اطلع علي من هذا الشفق ومعه ماء عذب فقال: اشرب يا عثمان. فشربت حتى رويت، ثم قال ازدد فشربت حتى نهلت، ثم قال: إن القوم يكرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا، قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه، وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن تسعين سنة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ليال.

وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال: لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصية عثمان؛ بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، وأن الله لا يخلف المعياد، عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

وفاة علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ

عن الشعبي[1] قال : لما ضرب علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ تلك الضربة قال : ما فُعل بضاربي؟ قالوا : أخذناه . قال : أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي ؛ فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي ، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها ، ثم أوصى الحسن أن يغسله وقال : لا تغال في الكفن ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبا سريعا**»[2]. وامشوا بي بين المشيين لا تسرعوا بي ولا تبطئوا بي فإن كان خيرا عجلتموني إليه وإن كان شرا ألقيتموني عن أعناقكم .

وروي أنه لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي عليه السلام أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول[3]: [من الهزج]

---

(1) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، الشعبي الحميري ، أبو عمرو : راوية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وكان ضئيلا نحيفا ، ولد لسبعة أشهر . وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته . وهو من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز . وكان فقيها ، ونسبته إلى شعب وهو بطن من همدان . ترجمته في طبقات ابن سعد 6/ 246، وطبقات خليفة (1144) ، وتاريخ البخاري 6/ 450، وتاريخ البخاري الصغير 1/ 243، 253، 254، والمعارف 449، والمعرفة والتاريخ 2/ 592، وأخبار القضاة 2/ 413، والحلية 4/ 310، وطبقات الشافعية للعبادي 58، وتاريخ بغداد 12/ 227، وطبقات الفقهاء للشيرازي 81، ووفيات الاعيان 3/ 12، وتذكرة الحفاظ 1/ 74، والعبر 1/ 127، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 32.

(2) أخرجه أبو داود (3/ 199، رقم 3154) ، والبيهقى (3/ 403، رقم 6487) . وأخرجه أيضًا : الضياء (2/ 170، رقم 548) وقال : كذا رواه أبو داود وإسناده منقطع . والديلمى (5/ 63، رقم 7468) .

(3) ورد البيتان في ديوان علي بن أبي طالب وأحيحة بن الجلاح ، قال المبرد في الكامب : والشعر إنما يصح بأن تحذف اشدد .

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت وإن حل بناديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه ليلة العاشرة من رمضان ليلة الجمعة ، ثم توفي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ بالكوفة ليلة الأحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين .

❊ ❊ ❊

الباب السادس

في ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم من الصحابة وغيرهم

لما حضر معاوية الموت قال : يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى ، وأني لم أَلِ من هذا الأمر شيئا .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان[1] الوفاة نظر إلى غسال يلوي ثوبا بيده ،

(1) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم . نشأ في المدينة ، فقيها واسع العلم ، متعبدا ، ناسكا . وشهد يوم الدار مع أبيه . واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة . وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة ، فكان جبارا على معانديه ، قوي الهيبة . واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في جربهما مع الحجاج الثقفي . ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العر بية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات . وهو أول من صك الدنانير في الاسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدارهم ، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم . وكان يقال : معاوية للحلم ، وعبد الملك للحزم . ومن كلام الشعبي : ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك ، فما ذاكرته حديثا ولاشعرا إلا زادني فيه . وكان أبيض طويلا أعين رقيق الوجه ، أفوه مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب ، مقرون الحاجبين ، مشرف الانف ، ليس بالنحيل ولا البدين ، أبيض الرأس واللحية ، ونقش خاتمه «آمنت بالله مخلصا» . توفي في دمشق . ترجمته في طبقات ابن سعد 5/ 223، طبقات خليفة ت 2061، المحبر 377، تاريخ البخاري 5/ 429، المعارف 355، المعرفة والتاريخ 1/ 563، تاريخ اليعقوبي 3/ 14، مروج الذهب 3/ 292، تاريخ بغداد 10/ 388، طبقات الفقهاء للشيرازي 62، تاريخ ابن عساكر 252/10 آ ، تاريخ ابن الاثير 517/4 وما بعدها ، تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول 309، تهذيب الكمال ص 866، تاريخ الاسلام 3/ 276، العبر 1/ 102، تذهيب التهذيب 253/2 ب ، ميزان الاعتدال 2/ 664، فوات الوفيات 2/ 402، البداية والنهاية 8/ 260، و9/ 61، العقد الثمين 5/ 512، تهذيب التهذيب 6/ 422، النجوم الزاهرة 1/ 212، خلاصة تذهيب التهذيب 246، شذرات الذهب 1/ 97.

ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك : والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ألِ من أمر الناس شيئا . فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه .

وقيل لعبد الملك : في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال أجدني كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[1] الآية .

وقيل : لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقيل : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا . فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق؟ فوا لله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ألا تقوم بحجتها بين يدي الله إن لم يلقنها حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات .

وحكي عن هارون الرشيد أنه ابتغى أكفانه عند الموت بيده ، وكان ينظر إليها ويقول : ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩﴾[2].

وفرش المأمون رمادا عند موته واضطجع عليه وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

وكان المعتصم[3] يقول عند موته : لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت .

(1) سورة الأنعام ، الآية : 94.

(2) سورة الحاقة ، الآيتان ، 28، 29.

(3) أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد توفى سنة 227 هـ . ترجمته فى المعارف لابن قتيبة صـ383، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص 140 وسير أعلام النبلاء 10/ 290.

وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر إلى صناديق بيته من يأخذها بما فيها: ليته كان بعرا.

ولما حضرت معاذا ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم أنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ولما اشتد به النزع نزع نزعا لم ينزعه أحد، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

ولما حضرت سلمان الفارسي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، فلما مات نظر في جميع تركته فإذا قيمتها بضع عشر درهما. ولما حضرت بلالا ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ الوفاة قالت امرأته: وا حزناه! فقال: بل وا طرباه؛ غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه.

قال أبو مسلم: جئت أبا الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ وهو يجود بنفسه ويقول: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قبض ـ رَحِمَهُ الله ـ.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر، وعلى قيام الليل في الشتاء.

ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وا بعد سفري وقلة زادي.

وقال الجريري: كنت عند الجنيد في حال نزعه وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟! فقال: ومن أولى بذلك مني؟ وها هو ذا تطوى صحيفتي.

وقال المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا، وللإخوان مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، وبكأس المنية شاربا، وعلى الله واردي، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها، ثم أنشأ يقول: [من الطويل]

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

❊ ❊ ❊

الباب السابع

فيما يقول من مات له ميت وحثه على الصبر

قال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [1].

وعن أم سلمة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرا منها**» [2]. قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله تعالى لي خيرا منه رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وقال ﷺ : «**إذا مات ولد العبد المؤمن قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع** [3]، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد» . حسنه الترمذي [4].

وقال ﷺ : «**يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه**

(1) سورة البقرة ، الآيات ، 155 ـ 157.

(2) حديث أم سلمة : أخرجه مسلم (2/ 631، رقم 918) ، وابن ماجه (1/ 509، رقم 1598) .
حديث أبي سلمة : أخرجه أحمد (6/ 309، رقم 26677) .

(3) استرجع : قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

(4) أخرجه أحمد (4/ 415، رقم 19740) ، والترمذى (3/ 341، رقم 1021) وقال : حسن غريب . وابن حبان (7/ 210، رقم 2948) ، وابن السنى (ص 218، رقم 586) ، والبيهقى (4/ 68، رقم 6938) .

من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» رواه البخاري [1].

وذكر بعضهم أنه صحب الفضيل ثلاثين سنة فما رآه ضاحكا إلا يوم مات ولده فقيل له في ذلك فقال له إن الله أحب أمرا فأحببته. وعن معروف ـ رَحِمَهُ الله ـ أنه توفي له ولد فلم يحزن عليه فقيل له في ذلك فقال رأيت جوار الله وثوابه خيرا له مني.

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية ـ رَحِمَهُ الله ـ : في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ بكى يوم مات ولده إبراهيم.

وروي عن بعض العارفين أنه ضحك يوم مات ولده فقيل له: تضحك في هذه الحالة؟! فقال: إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

وقد استشكل هذا فقيل: كيف يبكي رسول الله وهو أرضى الخلق عن الله ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك؟

فالجواب عن هذا: أن هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف؛ فإنه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقة عليه فحمد الله ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمة ورقة فحملته الرحمة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقة.

وفي الحديث الصحيح: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**» [2]. فتأوله جمهور

(1) أخرجه أحمد (2/ 417، رقم 9382)، والبخارى (5/ 2361، رقم 6060).

(2) من حديث ابن عمر: أخرجه أحمد (2 38، رقم 4959)، والبخاري (1/ 432، رقم 1226)، ومسلم (2/ 640، رقم 928)، وأبو داود (3/ 194، رقم 3129)، والترمذي (3/ 327، رقم 1004)، والنسائي (4/ 17، رقم 1855). =

العلماء على ما إذا أوصى به كما كانت العرب تفعله لأنه بسببه ومنسوب إليه وقيل يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم.

قال القاضي عياض وهو أولى الأقوال وقيل يقال للميت إذا ندبوه أكنت كذلك؟ فذلك التوبيخ عذاب.

وحكى النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **البستان** عن موسى بن المهدي أنه قال لإبراهيم بن مسلم وعزاه بابنه فقال: أسرك وهو فتنة وأحزنك وهو صلة ورحمة؟ قال النووي وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: أما بعد؛ فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فإذا قدمه فهو صلة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلته ورحمته[1].

❊ ❊ ❊

= ومن حديث عمر: أخرجه البخارى (1/ 432، رقم 1226)، ومسلم (2/ 641، رقم 927)، والترمذى (3/ 326، رقم 1002) وقال: حسن صحيح، والنسائى (4/ 18، رقم: 1858).

(1) بستان العارفين، ص 19.

الباب الثامن

في النهي عن النياحة

في الصحيحين عن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»[1].

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال**[2] من قطران[3] ودرع[4] من جرب»[5].

وروى الثعلبي عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**».

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من يوم إلا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات، فإذا وجد أحدكم قد نفد أجله وانقطع أمله ألقى عليه**

---

(1) من حديث ابن مسعود: أخرجه أحمد (1/ 456، رقم 4361)، والبخارى (1/ 435، رقم 1232)، ومسلم (1/ 99، رقم 103)، والنسائى (4/ 20، رقم 1862)، وابن ماجه (1/ 504، رقم 1584). ومن حديث أبى هريرة: أخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (4/ 199، رقم 3967). قال الهيثمى (15/3): فيه عبد الله بن عبد القدوس، وفيه كلام، وقد وثق.

(2) سربال: قميص، ويُجمع على سَرابِيل، وقد تُطَلق السَّرَابِيل على الدُّرُوع.

(3) قطران: دهن يدهن به الجمل الأجرب فيحترق لحدته وحرارته.

(4) درع: الدرع قميص النساء.

(5) أخرجه أحمد (5/ 343، رقم 22955)، والطبرانى (3/ 285، رقم 3425)، والحاكم (1/ 539، رقم 1413)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

غمرات الموت ، فغشيته كرباته وغمراته ، فمن أهل بيته الناشرة لشعرها والصارخة بويلها والباكية بشجوها فيقول ملك الموت : ويلكم ممن الفزع؟ وفيم الجزع؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ، ولا أتيته حتى أمرت بقبض روحه ، وإن لي فيكم عودة ، ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا ، فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ، ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهي تنادي : يا أهلي ، ويا أولادي ، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيري فالمهنأ له والتبعة علي ، فاحذروا مثل ما حل بي» .

❊ ❊ ❊

الباب التاسع

في الصلاة على الميت وحضور دفنه

قال رسول الله ﷺ: «**من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان**». قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مثل الجبلين العظيمين**». رواه البخاري ومسلم [1].

وقال ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه**». رواه مسلم [2].

وقال ﷺ: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه**» .رواه مسلم [3].

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الأدنين إلا قال الله تعالى قد قبلت علمهم فيه وغفرت له ما لا يعلمون**». رواه أحمد.

وقال ﷺ: «**الصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر**».

---

(1) أخرجه البخارى (1/ 445، رقم 1261)، ومسلم (2/ 652، رقم 945)، والنسائى (1/ 645، رقم 2122)، وابن حبان (7/ 347، رقم 3078). وأخرجه أيضًا: البيهقى (3/ 412، رقم 6536).

(2) مسلم (2/ 654، رقم 947)، وأخرجه أحمد (3/ 266، رقم 13830، ورقم 13831)، والنسائى (4/ 75، رقم 1991)، وابن حبان (7/ 351، رقم 3081)، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 4، رقم 9248). وأخرجه أيضًا: الطبرانى فى الأوسط (6/ 144، رقم 6039)، والبيهقى (4/ 30، رقم 6694)، والديلمى (4/ 32، رقم 6101).

(3) مسلم (2/ 655، رقم 948)، وأخرجه أحمد (1/ 277، رقم 2509)، وأبو داود (3/ 203، رقم 3170)، وابن حبان (7/ 351، رقم 3082).

حكي عن بعض الصالحين أنه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فامتنع كثير من الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فإن قالوا مذنب ذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا؟

وقال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه.

ونظر إبراهيم الزيات إلى أناس يتزاحمون على ميت وقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم؛ إنه نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت قد رأى، ومرارة الموت قد ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن.

وفي **الدعاء** للطبراني من حديث أنس رفعه: «**من رأى جنازة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا إيمانا وتسليما كتب له عشرون حسنة**».

❊ ❊ ❊

الباب العاشر

في دفن الميت والدعاء له والاستغفار والقراءة

عن علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى الأحياء .

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «**إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه وأنجزوا وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه الجار السوء**» قيل : يا رسول الله ، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال : «**هل ينفع في الدنيا؟**» قالوا نعم قال : «**كذلك ينفع في الآخرة**» .

قال أبو عبد الله القرطبي ـ رَحِمَهُ الله ـ يروى أن امرأة دُفنت بقرطبة ـ أعادها الله ـ فأتت أهلها في النوم وجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول : ما وجدتم أن تدفنوني إلا إلى فرن الجير؟ فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير ، فبحثوا وسألوا عمن كان مدفونا بإزاء المرأة فوجده رجلا سيافا كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فأخرجوها من جواره .

وروى أبو داود عن عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[1].

وروى مسلم عن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها أستأنس بكم وأعلم ماذا

(1) أخرجه الحاكم (1/ 526، رقم 1372) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا : أبو داود (3/ 215، رقم 3221) ، والبيهقى (4/ 56، رقم 6856) ، والضياء (1/ 522، رقم 388) .

أراجع به رسل ربي .

قال الآجري : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال : اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم منه إلا خيرا ، وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة ، كما ثبته في الحياة الدنيا ، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ، ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره .

قال الشافعي ـ رَحِمَهُ الله ـ : ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن وإن ختم القرآن كله كان حسنا .

وقال أحمد بن حنبل : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ واجعلوا ذلك لأهل القبور ؛ فإنه يصل إليهم .

وروي عن ابن عمر أنه أوصى أن يقرأ إذا دفن عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها .

وحكي عن بعضهم أنه قال : قرأت على قبر حزبا من القرآن ، ثم قلت : يا فلان ، هذا قد أهديته لك فماذا إلي؟ قال : فهبت علي نفحة ريح مسك فغشيتني وأقامت معي ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نصف الطريق .

وقال بعضهم : ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها ودعوت الله ـ عز وجل ـ واستغفرت لها وسألت ، فلما كان اليوم الثاني حدثتني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي : رأيت البارحة في النوم فلانة ـ تعني الميتة المذكورة ـ في مجلس حسن ودار حسنة وقد أخرجت أطباقا من تحت سرير كان في البيت والأطباق مملوءة نورا ، فقالت لي : هذا أهداه لي صاحب بيتي ، وما

كنت أعلم بها أحدا، ذكر هذه الحكاية والتي قبلها القرطبي في **التذكرة** [1].

ويروى عن النبي ﷺ قال: «**ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار**» [2].

وقال بعضهم: مات أخ لي رأيته في المنام، فقلت: ما كان حالك حيث وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

وقال بشر بن منصور: لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانات فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم، ورحم الله غربتكم، وتجاوز عن سيئاتكم، وقبل الله تعالى حسناتكم. لا يزيد على هذه الكلمات، قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذ أنا بخلق كثير قد جاءوني قلت: من أنتم؟ وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك. قلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو. قلت: فإني أعود لذلك. فما تركتها بعد.

وقال بشار بن غالب: إني رأيت رابعة العدوية[3] ـ رحمها الله تعالى ـ في

(1) التذكرة 84.

(2) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (7/ 16، رقم 9295)، قال الذهبى فى الميزان (6/ 86، ترجمة 7306) محمد بن جابر بن عياش المصيصى لا أعرفه وخبره منكر جدا.

(3) هي: البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها.لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، قال ابن=

منامي وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت لي : يا بشار ، هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير . قلت : وكيف ذاك؟ قالت : وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على أطباق النور ، وخمر بمناديل الحرير ، ثم أتي به الميت . فقيل : هذه هدية فلان إليك .

ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال : اللهم إني أصبحت أرجوك له ، وأخافك عليه ، فحقق رجائي وآمن خوفي .

ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال : اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه ، فاغفر له ما وجب لك عليه ، فإنك أجود وأكرم .

ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال : اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري ، فهب له ما قصر فيه من طاعتك .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر ، قام أبوه بعد ما وضع في لحده فقال : يا ذر ، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، فليت شعري ماذا قلت لك؟ ثم قال : اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ، ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه ، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك ، فهب لي له عذابه ولا تعذبه ، فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه : ما علينا بعد ذلك من خصاصة ، يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله تعالى حاجة ، فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك .

=خلكان : (وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه ، على رأس جبل يسمى الطور) وقال : (وفاتها سنة 135 كما في شذور العقود لابن الجوري ، وقال غيره سنة 185) .

ترجمتها في : الإحياء للغزالي : 2/ 267، وفيات الأعيان 3/ 215، عبر الذهبي 1/ 278، الرسالة القشيرية 86، 173، قوت القلوب للمكي 1/ 103، 156، التعرف : للكلاباذي 73، 121، نفحات الأنس : 716، الطبقات الكبرى للشعراني 56، الكواكب الدرية للمناوي (96) ص 108، شذرات الذهب 1/ 193، تذكرة الأولياء للعطار : 1/ 59، النجوم الزاهرة : 1/ 330، شرح المقامات : 2/ 231.

وقال ﷺ: «**إن مشيعي الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهمومون محزونون حتى إذا أسلموه في القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى بهم وهو يقول ارجعوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم**».

❊ ❊ ❊

الباب الحادي عشر

في الصدقة على الميت

في **الصحيحين** عن عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ أن رجلا قال للنبي ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لي أجر إن تصدقت عنها قال : «**نعم**» [1].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» . رواه مسلم [2].

وحكي أبو الليث السمرقندي ـ رَحِمَهُ الله ـ عن صالح المري أنه أقبل في ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلي به صلاة الفجر فمر بمقبرة فقال : لو أقمت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته عيناه ، فرأى في منامه كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا حلقا ، فإذا شاب عليه ثياب دنية ، فقعد في جانب مغموما فأقبلت أطباق مغطاة بمناديل ، فكلما جاء واحدا منهم طبق أخذوه ودخل في قبره ، ولم يأت الشاب شيء ، فقام حزينا ليدخل قبره فقلت له : يا عبد الله ، ما لي أراك حزينا؟! فقال : يا صالح المري هل رأيت الأطباق؟ فقلت : نعم . فما هي؟ فقال : تلك أطباق الأحياء لموتاهم كلما تصدقوا

(1) أخرجه عبد الرزاق (9/ 60، رقم 16343) .

(2) مسلم (3/ 1255، رقم 1631) ، وأخرجه أحمد (2/ 372، رقم 8831) ، والبخارى فى الأدب المفرد (1/ 28، رقم 38) ، وأبو داود (3/ 117، رقم 2880) ، والترمذى (3/ 660، رقم 1376) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (1/ 88، رقم 242) . وأخرجه أيضًا : النسائى (6/ 251، رقم 3651) .

عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في ليلة الجمعة ، وإني رجل من أهل السند أقبلت بوالدتي أريد الحج ، فلما وصلنا البصرة توفيت وتزوجت والدتي بعدي ، ولم تذكر أن لها ولدا قد أشغلتها الدنيا ، فحق لي الحزن . فقال صالح المري : فقلت وأين أمسك؟ فذكر لي موضعها ، فلما أصبحت وقضيت صلاتي وسألت عن منزلها فأرشدت إليه ، فجئت إليها وقلت لها : إني صالح المري ، ثم قلت لها : هل لك من ولد؟ قالت : لا . فقلت : هل كان لك ولد؟ فتنفست ثم قالت : كان ومات وهو شاب . فقصصت عليها القصة فبكت ، ثم دفعت إلي ألف درهم فقالت : تصدق بها عن ولدي ولا أنساه من الدعاء والصدقة فيما بقي من عمري . قال : فتصدقت بالألف ، فلما كانت الجمعة الأخرى أقبلت أريد المسجد فأتيت المقبرة فصليت ركعتين واستندت إلى قبر فنمت ، فإذا أنا بالقوم قد خرجوا وإذا بالفتى وعليه ثياب بيض قد جاء فرحا مسرورا حتى دنا مني ثم قال : يا صالح ، جزاك الله عني خيرا قد وصلت إلينا الهدية .

❊ ❊ ❊

الباب الثاني عشر

في زيارة القبور

روى مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : رأى رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[1].

وروى مسلم أيضا عن بريدة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية**»[2].

وقال ﷺ : «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا»[3].

وعن ابن سيرين قال قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين**» .

---

(1) أخرجه أحمد (2/ 441، رقم 9686) ، ومسلم (2/ 671، رقم 976) ، وأبو داود (3/ 218، رقم 3234) ، والنسائى (4/ 90، رقم 2034) ، وابن حبان (7/ 440، رقم 3169) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (3/ 29،

(2) أخرجه مالك (1/ 28، رقم 58) ، وأحمد (2/ 300، رقم 7980) ، ومسلم (1/ 218، رقم 249) ، والنسائى (1/ 93، رقم 150) ، وابن ماجه (2/ 1439، رقم 4306) ، وابن حبان (3/ 321، رقم 1046) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (11/ 387، رقم 6502) ، وأبو عوانة (1/ 122، رقم 360) ، والبيهقى (1/ 82، رقم 392) .

(3) ذكره الحكيم (126/1) ، والطبرانى فى الأوسط (6/ 175، رقم 6114) قال الهيثمى (60/3) : فيه عبد الكريم أبو أمية ، وهو ضعيف . وأخرجه أيضًا : الديلمى (3/ 495، رقم 5537) ، والرافعى (303/1) .

وقال ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**».

وقال أبو هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذ مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه.

وقال رجل من آل عاصم الجحدري: رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى. قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم. قلت: أجسامكم أو أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح. قال: فقلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس. قلت: وكيف ذاك دون الأيام كلها؟ قال: بفضل يوم الجمعة وعظمه.

وكان محمد بن واسع ـ رَحِمَهُ الله ـ يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخرت إلى الاثنين. فقال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة وبما قبله وبما بعده.

الباب الثالث عشر

في حقيقة الموت

الذي تدل عليه الآيات والأخبار أن الموت مفارقة الروح للجسد، فالروح باقية مدركة منعمة في الجنة أو معذبة في النار، وأول ما تدركه الروح عند مفارقة الجسد يختلف بحال الإنسان، فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنا لروحه وحياته طريقا إلى مقصوده وليس له من الدنيا إلا بلغة يتزود بها في مسيره، فإذا مات فقد خرج من السجن ووصل إلى محبوبه الذي يتنعم بذكره ولم يبال بما ترك من الدنيا بعد أن عاين مطلوبه ثم يكشف ثواب طاعته فيتم سروره، وبالعكس منه من كان غافلا عن المولى معرضا عن الأخرى مشتغلا بالدنيا متنعما بزهرتها فهو كسارق دخل في دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ونسي صولة الملك وبطشه فإذا أخذه وأزعجه عن داره تحسر على مفارقة ما كان فيه من من اللذات وتكشف له عاقبة ما قدم من الجنايات. قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ أي على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله تعالى ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

قال ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ : عند الموت. وقال قتادة ومقاتل: إذا خرجوا من قبورهم. وقال وكيع: البشرى تكون في ثلاثة مواطن؛ عند الموت، وفي القبر، وعند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من الموت. قال مجاهد: لا تخافوا ما تقدمون عليه من الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فإنا نخلفكم من ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ

أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ أنصاركم وأحباؤكم أي ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ . وقال السدي : تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات واللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تتمنون ﴿نُزُلًا﴾ رزقا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [1].

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «**مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب أن يرجع الجنين إلى بطن أمه**».

عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم وقال ﷺ : «**لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور**»[2].

وقال ﷺ : «**إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره**»[3].

وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال : «**نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألون ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية**»[4].

---

(1) سورة فصلت ، الآيتان ، 29، 30.

(2) أخرجه الديلمى (5/ 29، رقم 7357) .

(3) أخرجه أحمد (3/ 3، رقم 11010) قال الهيثمى (21/3) : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه ، وأخرجه أيضًا : الديلمى (4/ 240، رقم 6721) .

(4) أخرجه الطبرانى فى الكبير (4/ 129، رقم 3887) ، وفى الأوسط (1/ 53، رقم 148) . قال الهيثمى=

ونقل القرطبي ـ رَحِمَهُ الله ـ عن أبي الحسن القابسي ـ رَحِمَهُ الله ـ أنه قال الصحيح من المذهب والذي عليه أهل السنة أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها فإن كانت من أهل السعادة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت فإذا غسل وكفن ردت وأدركت بين كفنه وجسده فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فإذا وصل إلى قبره وصلي عليه ردت فيه الروح وقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان، قال القرطبي الروح جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة لا يموت ولا يفنى وهو مما له أول وليس له آخر وكل من يقول إن الروح تموت وتفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك.

❊ ❊ ❊

=(327/2) : فيه مسلمة بن على وهو ضعيف.

الباب الرابع عشر

في عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

وما ينفع الميت في قبره

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

في عذاب القبر

روى مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»[1].

قال رسول الله ﷺ : «**ما رأيت منزلا فظيعا إلا والقبر أفظع منه**»[2].

وكان عثمان بن عفان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ إذا وقف على قبر بكى حتى بل لحيته ، فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي إذا وقفت على قبر؟! فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإذا نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد**»[3].

وروى الترمذي عن أبي سعيد قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكثرون فقال : «**أمانكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم يأت**

(1) أخرجه أحمد (2/ 237، رقم 7236) ، ومسلم (1/ 412، رقم 588) ، وأبو داود (1/ 258، رقم 983) ، والنسائى (3/ 58، رقم 1310) ، وابن حبان (5/ 298، رقم 1967) .

(2) أخرجه هناد (1/ 211، رقم 344) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (63/1 رقم 454) ، والترمذى (553/4 رقم 2308) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (2/ 1426، رقم 4267) ، والحاكم (4/ 366، رقم 7942) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى (4/ 56، رقم 6856) .

(3) أخرجه هناد فى الزهد (1/ 211، رقم 344) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (1/ 63، رقم 454) ، والترمذى (4/ 553، رقم 2308) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه (2/ 1426، رقم 4267) ، والحاكم (1/ 526، رقم 1373) ، والبيهقى (4/ 56، رقم 6856) . وأخرجه أيضًا : البزار (2/ 89، رقم 444) ، والخطيب (89/6) .

على القبر يوم إلا يتكلم فيقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهر الأرض إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه» .

قال رسول الله ﷺ بأصابعه ، فأدخل بعضها في بعض قال : «**ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب**»[1].

وقال ﷺ : «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[2].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «**المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون في ماذا أنزلت هذه الآية؟** : ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**عذاب الكافر في قبره ، يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون**» [3].

وقال ﷺ : «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك**

(1) أخرجه الترمذى (4/ 639، رقم 2460) .

(2) تابع للحديث السابق .

(3) أخرجه الترمذى (3/ 383، رقم 1071) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (7/ 386، رقم 3117) ، وابن أبى عاصم (2/ 416، رقم 864) ، والرافعى (247/3) . وانظر الترغيب والترهيب للمنذري 4/ 193.

حتى تبعث إليه يوم القيامة» [1].

وقال أبو ذر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري .

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخارى (5/ 2388، رقم 6150) ، ومسلم (4/ 2199، رقم 2866) ، والترمذى (3/ 384، رقم 1072) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1427، رقم 4270) .

الفصل الثاني

في سؤال منكر ونكير

عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**»[1].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال قال رسول الله ﷺ : «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقول له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**»[2].

---

(1) أحمد ، والبيهقى ، وأبو داود ، والنسائى عن أنس .

(2) أخرجه الترمذى (3/ 383، رقم 1071) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (7/ 386، رقم 3117) ، وابن أبى عاصم (2/ 416، رقم 864) ، والرافعى (247/3) .

وعن عبد الله الصغاني قال : رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت : ما فعل الله بك؟ قال : تقبل مني الحسنات وتجاوز عني السيئات . قلت : وما كان بعد ذلك؟ قال : وهل يكون من الكريم إلا الكرم ، غفر لي ذنوبي فأدخلني الجنة . قلت : بم نلت الذي نلت؟ قال : بمجالس الذكر ، وقولي الحق ، وصدقي في الحديث ، وطول قيامي في الصلاة ، وصبري على الفقر . قلت : منكر ونكير حق؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو لقد أقعداني وسألاني مَن ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فجعلت أنفض البيضاء عن التراب وقلت : مثلي يسأل أنا يزيد بن هارون الواسطي كنت في دار الدنيا ستين سنة أعلّم الناس! فقال أحدهما : صدق هو يزيد بن هارون ، نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم .

قال بعض العلماء : الحكمة في سؤال الملكين أن الملائكة طعنت في بني آدم بقولهم : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فقال الله تعالى : ﴿أني أعلم ما لا تعلمون﴾ [1]. فإذا مات المؤمن بعث الله إلى قبره ملكين فيقولان له : من ربك؟ وما دينك؟ فيقول : ربي الله وديني الإسلام . فيأمرهما الله تعالى ويقول : اشهدا بين الملائكة بما سمعتما ، ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي ، انظروا إلى عبدي قد أخذت روحه وماله فماله لعدوه وزوجته في حجر غيره وضيعته في يد غيره ، ثم إن الملائكة سألوه في بطن الأرض ولم يذكر غير توحيدي وتنزهي لتعلموا أني أعلم ما لا تعلمون .

❊ ❊ ❊

(1) سورة البقرة ، الآية : 30.

الفصل الثالث

فيما ينفع الميت في قبره

قال رسول الله ﷺ : «**سبعة يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته**» [1].

وقال ﷺ : «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفتتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة» .

قال كعب الأحبار : إذا وضع الرجل الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصلاة في القيام لله تعالى ، قال : فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصيام . قال : فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله ـ عز وجل ـ لا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة : كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت في يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له نم هنيئا طبت حيا وميتا قال فتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ويفسح له مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة يستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره .

(1) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (344/2) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (3/ 248، رقم 3449) ، وأخرجه أيضًا : الديلمى (2/ 330، رقم 3492) .

وروى الترمذي عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها! فقال النبي ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**»[1].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (248/7).